

ثانياً: مقاربات تعريفية:

إن مسألة إحكام التحول من «فكر القوة» إلى «قوة الفكر» ليست مسألة مقابلة لفظية ، وإنما هي إشكالية حضارية منطقية فعلية، تختص بالانتقال النشط من وضعية سلبية تتعاضم - حالياً - درجة تحكمها في مسارات عديدة في الشؤون الدولية والإقليمية والمحلية إلى وضعية أخرى غائبة - إلى حد كبير ، وهي أن يكون للفكر الإنساني والمعارف العلمية المنضبطة إنسانياً حد أدنى من النفوذ المناسب في تسيير الأمور على سطح كوكب الأرض وفي شتى أرجائه . إنها مقابلة تولد في إطار تحليل منظومي . وفي تقديرنا ، إذا كانت هناك حالة احتياج أساسي شديد لإدراك أهمية إحكام التحول من «فكرة القوة» إلى «قوة الفكر» على المستوى الدولي ؛ خاصة فيما يتعلق بتوازنات العولمة (أو التوازنات العالمية) ، فإن هذه الحاجة تبرز بدرجة أكثر أساسية ، وأكثر شدة ، وأيضاً أكثر إلحاحاً ، بالنسبة للأوضاع العربية . إنها حاجة تتصل إيجابياً وبشكل مباشر بإمكانية تمكين الذات الوطنية في المنطقة العربية من إدارة الخروج من قفص (أو شرك) التحديات الساقطة عليها من البيئة المحيطة بها . وقبل التطرق إلى بعض التفاصيل المتعلقة بالتحول المشار إليه ، توجد حاجة إلى الاقتراب من طرح تعريفى بخصوص المقصود من كل من «فكرة القوة» و«قوة الفكر» .

إن المقصود بالقوة ذلك العزم momentum الناتج عن النفوذ بأشكاله المختلفة (مادية وغير مادية) ، وبما يلحق به (أى النفوذ) من أدوات إجرائية وقدرات وانعكاسات . هذا .. وتتباين أوجه القوة وأشكال النفوذ بين المال والسلطة والسلاح والتكنولوجيا والمعلوماتية ... إلخ .

وأما المقصود بالفكر ، فهو الرؤى الناجمة عن أعمال الحس المعرفى ، والذي هو (أى الحس المعرفى) أداة لتعرف الأشياء والحكم عليها (فى أوضاعها وتبايناتها وأصولها وتطوراتها وتشابكاتها) ، وهو أيضاً أداة للاستشراف المستقبلى ، ولتحديد الأهداف ومتابعاتها وتقويمها ، وللتخطيط والتصرف إستراتيجياً وتكتيكياً.

وإذا كان الحس المعرفى - كحس - هو أداة فإنه (أى الحس المعرفى) يتكون (أو يولد ويتشكل) كمحصلة لتراكمات ومنتجات وتفاعلات وخصائص ، تأتى من (وتتعلق بـ) التراث ، والثقافة ، والانتماء ، والولاء ، والطموح ، والعلم ، والخبرة ، والقدرات الذهنية ، والعقل الجمعى ، ومدى موضوعية الجهود والمعانة المبذولة فى مواجهة التحديات وفى إحراز التقدم إلخ .

وهكذا بالارتكاز على التناولات الثلاث السابقة بخصوص «القوة» و«الفكر» و«الحس المعرفى» ، فإنه يمكن النظر إلى كل من «فكر القوة» و«قوة الفكر» فى الإطار التالى :

أ - أن «فكر القوة» يعنى الرؤى والأحكام الصادرة عن إعمال الحس المعرفى المتولد أساساً ، وبشكل مباشر عن الأمتلاك لـ [أو الاقتراب من أو الانتفاع أو الاستمتاع بـ] شكل أو أكثر من أشكال النفوذ . هنا نلاحظ أن الفكر المعرفى المؤسس لفكرة القوة محدود فى تولده - إلى حد كبير - بأشكال النفوذ . إن أهمية هذه الملاحظة تظهر لاحقاً ، عند تناول قوة الفكر .

ب- أن «قوة الفكر» تعنى الانعكاسات المادية الحادثة (أو التى يمكن أن تحدث) من جراء (أو من خلال) الانتفاع العملى بالرؤى والأحكام الناتجة عن إعمال الحس المعرفى المتولد من عموم كافة المؤثرات والعوامل ، التى يمكن أن تؤثر فيه (وليس المحدود فى تولده فقط - أو أساساً - بأشكال النفوذ) .

مما سبق يمكن إدراك أن التحول إلى «قوة الفكر» يعنى التحول إلى حالة يكون فيها النفوذ معبراً عن (ومتوزياً مع) رؤى ، تشكلت من خلال حس معرفى تكوّن كنتيجة (أو كمحصلة) لكافة التراكمات والمنتجات والتفاعلات والخصائص والخبرات ، التى يمكن أن تؤثر فيه كما يدركها ويتفاعل معها العقل الإنسانى (الطامح إلى المعرفة) عند البشر فى عمومهم وعلى اختلاف تنوعاتهم ، وبالتالي فهو نفوذ يقوم على (ويصب فى) صالح مسار الإنسانية فى تراكمه النسبى اللانهائى ، سواء ما تحقق بالفعل من هذا التراكم (فى التاريخ) ، أو ما يمكن أن يضاف إليه (فى المستقبل) .

ربما يمكن هنا التطرق إلى نقطة ذهنية مهمة إلى حد كبير ، وهى أن النفوذ الناتج (أو المعبر) عن قوة الفكر يتشكل من مكونات مادية ولا مادية فى الوقت ذاته ، وبالتالي فإن الانعكاسات الناتجة عن هذا النفوذ تتشكل من مكونات مادية ولا مادية ، ذلك بمعنى أن الفكر الناتج عن «قوة الفكر» (أى فكر قوة الفكر) هو فكر يولد من رحم عزم الانساق والتكامل بين كافة أشكال النفوذ والخبرات الإنسانية ، بما تتضمنه من ماديات ومعنويات على السواء ، أو قل هو فكر ينتج عن التفاعل الانصهارى (أو التوحد) الإيجابى لأشكال النفوذ والخبرات الإنسانية .

وإذا كنا نهدف بشكل رئيسى فى العرض الحالى إلى إبراز الأهمية المصيرية للتحول من «فكر القوة» إلى «قوة الفكر»^(١) فى المنطقة العربية (وبالنسبة للإنسان العربى) ، فإنه يجدر بنا التركيز على التعرض المقارن لكل من «التداعيات» الناتجة عن فكر القوة ، و«الآفاق» الممكنة لقوة الفكر .

(١) يمكن الرجوع إلى مقال «صناعة العشوائية» - مجلة سطور - أكتوبر ٢٠٠٢ .